الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الهندسة المعمارية
ماجستير التأهيل والتخصص
في العمارة الداخلية

الرقش العربي - فن الأرابيسك

إعداد :

بهاء الدين محمد ابو ناصر

إشراف :

د. محمد غنوم

2023 - 4 - 6

مقدمة :

فن الأرابيسك هو فن الزخرفة بنماذج من الطبيعة وأشكال هندسية متداخلة ومعقدة، وهو أحد عناصر الفن الإسلامي القديم، ورمز للعمارة الإسلامية، حيث كان يُزيّن جدران وأعمدة المساجد والقصور أيام الدولة العثمانية، ثم انتشر في بعض الدول الأخرى، لكنه بقي يعبّر عن الهوية العربية الإسلامية الخالصة، وازدهر في سورية ومصر.

الرقش العربي

مصطلح يعني النسبة إلى ARABESQUE الأرابيسك العرب، ولقد اعتُمد هذا المصطلح للدلالة على رسم الأشكال المجردة أو المحورة عن الواقع محمولة على العمارة والمخطوطات والقطع الفنية العربية المتنوعة، والتي يبتكرها الصانع في رسمه أو نقشه أو حفره. كما استعملت كلمة أرابيسك أيضاً للدلالة على الخطوط الانسيابية المنغّمة في الرسم التشبيهي. واستعملت الكلمة في الموسيقى تعبيراً عن إيقاع النغم كتشبيه بخطوط الرسم العربي.

وفي مجال الفن التشكيلي ، يقابل هذا المصطلح بالعربية كلمة "الرقش العربي" و"الخيط العربي" و"العربسة" و"الزخرفة العربية" و"التوريق". وبصورة عامة هو فن إبداعي مجرد ابتعد عن التوصيف الواقعي بسبب تحريم تصوير الأجساد مما يضاهي مقدرة الخلق كما في الحديث الشريف، أو بسبب التعبير عن الجمال المحض البعيد عن الواقعية والنسبية والعدمية والقريب من الذائقة الجمالية القائمة على الفكر المطلق. فهو عملية فنية يقصد بها رفع مستوى الأشيا المتداولة من صفتها الاستعمالية أو الشكلية العادية إلى مستوى الشي الفني؛ دون أن يكون بالإمكان فصل الشي المزخرف عن قيمته الفنية إذا ما فقد دوره الاستعمالي ووظيفته.

يبدو فن الأرابيسك في صورتين ، الأولى ليّنة مستوحاة من الأوراق والأزاهير بصيغ مجردة أو محورة تبدو بإلحاح وتكرار إيقاعي ينظم نبض الابتهال والتبتل، وكثيراً ما ربط النقاد هذا التكرار "بالذكر الصوفي". وتبدو الصورة الثانية بشكلٍ رياضي يعتمد على الأشكال الهندسية، المثلث والمربع والمخمس لتكوين نجمة سداسية أو ثمانية أو عشارية، فمن تعارض مثلثين تشكلت النجمة السداسية تعبيراً عن الكون المؤلف من السما ممثلة بالمثلث وقاعدته في الأعلى، ومن الأرض ممثلة بالمثلث وقاعدته في الأسفل.

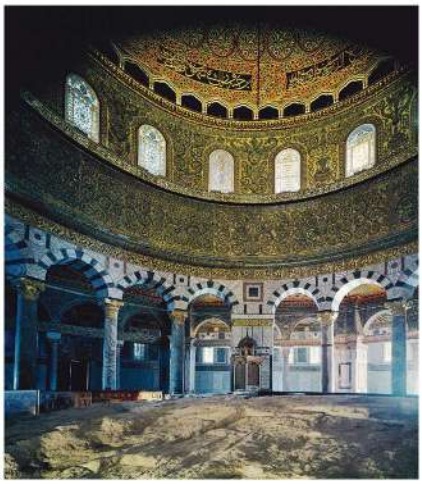

أما الشكل المثمن أو النجمة الثمانية المؤلفة من تصالب مربعين في دائرة واحدة، فإنها تجمع بين مربع يمثل العناصر الأربعة ومربع يرمز إلى الجهات الأربع، والنجمة الثمانية هي تعبير عن الكون أيضاً. ولم تجد هذه الصيغة أساساً لها في الفلسفة الإغريقية، ولذلك تعدّ النجمة الثمانية نجمة إسلامية بحتة تحدث عنها إخوان الصفا، وتوسع فيها السيوطي.

وسواء أكانت النجمة سداسية أم ثمانية؛ فإنها صيغة إشعاعية نورانية تصدر عن نقطة مركزية جاذبة/ نابذة، وتصبح هذه الأشكال أوعية لمضامين رمزية لا تخلو من معانٍ قدسية أو صوفية أو وجودية.

وتبدو زخارف الأرابيسك النجمية أكثر انتشاراً على الأبواب الخشبية في جميع مباني العمارة الإسلامية.

هذا الفن في كتاب مرجعي، وبيّن أن فن الأرابيسك مستوحى من O. GRABAR درس أولغ غرابار فلسفة الجمالية العربية؛ حاملاً لشيفرات رمزية، إذ يلغي العلاقة بين الشي المرئي وبين دلالته العادية ومعناه المتداول. وتبدو الجمالية الإسلامية أكثر وضوحاً في زخارف محراب قبة الصخرة وفي التكوينات الحجرية الهندسية على طرفي المحراب، وفي الزخارف النباتية في القوس العريضة فوق المحراب.

فلسفة الأرابيسك

يبدأ الأرابيسك من النقطة، ومن هذه النقطة تتوالد مجموعات لا نهاية لها من النقاط، تتلاحم لتشكل خطاً كونياً يعود إلى نقطة البد ؛ لكي يشكل دائرة هي الأساس النموذجي الذي تصدر عنه جميع الأشكال الهندسية؛ المثلث والمسدس والمربع، والتي تؤلف مضلعات مضاعفة مرتبطة بالسلسلة العددية أو الهندسية للعدد، بد اً من الرقم واحد الذي يرمز إلى الخالق مصدر جميع الكائنات والأشيا . ويعترف بيرابين BIRABEN" في المنفذة أو المتخيلة - المكررة بأن الصيغة الأرابيسك - تثير الشعور بأبدية الانطلاقات والعودات؛ ممثلة بذلك علاقة الظاهر بالجوهر، مما يقترب من ممارسة الذكر".

استعان المستشرقون بآرا فيثاغورس؛ لكي يربطوا بين هذا المفهوم الروحاني وبين المفهوم أي ΠP الرياضي الذي يجعل ضلع المسدس في الدائرة هي نفسها نصف القطر، ومنه يمكن حساب 3.14. العدد الثابت الذي يمكن من خلاله حساب محيط الدائرة أو مساحتها

إن عامل الزمن الذي يعبرّ عنه الخط الصادر عن نقطة - والذي يعود إلى النقطة نفسها إذا كان مسار الزمن حراً مجرداً- يشكل الدائرة الكونية، وفي عالم الواقع لا بد من تقاطع بين المستقيمات ضمن حدود الدوائر لتشكيل مساحات، وهذه التقاطعات التي تنجم عن تقاطع الأشكال الأساسية - المثلث والمربع والتي تشكل نجوماً سداسية أو ثمانية - تعبر عن زمانية وجودية تنطلق من نقطة مركزية سرمدية؛ لتشع وميضاً معبرة عن حركة، هي الزمان الوجودي.
يتمتع فن الأرابيسك بالوحدة، ويتجلى ذلك في زخارف قبة الصخرة في القدس. وفي زخارف المغرب العربي والأندلس. وإلى جانب هذه الوحدة التي استمرت حتى اليوم مشكلةً أصالة هذا الفن؛ كان التنوع هو الخصيصة الثانية التي دلت على حرية الإبداع وتعدد تأثيراته. فحيثما انتقلت هذه الزخارف كانت تتفاعل مع التقاليد الإقليمية التي أغنت هذه الزخارف التي انتشرت وأثرت في الزخارف الأوربية ذاتها، ومازالت الزخارف التي تزين جامع القيروان وجامع قرطبة وقصور الحمرا شاهدة على وحدة الزخارف العربية وتنوعها وجمالها.

زخرفة الأرابيسك في العمارة

منذ القديم كانت الأحجار مهاداً للزخرفة والرسوم بأحبار قد لا تستمر طويلاً، فكان الحفر وسيلة لتثبيت المنقوشات إلى زمن طويل حتى لو كانت معرضة لمؤثرات المناخ. وما إن تقدم الفن والخط حتى أصبحت الشواهد الحجرية المزينة بالخطوط وبزخرفة الأرابيسك؛ آيات فنية تزين واجهات المنشآت العامة مستغلة انعكاس الشمس وظلالها لإبراز معالمها وإيضاحها.
ثم ظهرت النقوش المنزلة تنزيلاً، إذ بعد أن ينقش النحات الصيغ الزخرفية تاركاً فراغات غائرة، يقوم بإملا هذه الفراغات بملاط أو عجينة ملونة أو يقص ألواحاً من الحجر الملون أو الصدف أو العظم والعاج أو خيوط الفضة أو القصدير، وتنزل في هذه الفراغات.
ثم ظهر نوع صعب من الزخرفة الحجرية الملونة يسمى "المشقف"، يتألف من تقطيعات هندسية أو نباتية ترصف مع بعضها بإحكام ودقة لتكون زخرفة صلبة، وقد تتنوع أجناس التقطيعات (الشقف) فتكون من الحجر الملون أو من الصدف أو العظم. وتفنن المعمار بتنضيد الحجارة التي تغطي البرك المائية على شكل حصيرة حجرية ذات تشكيلات فسيفسائية هندسية كبيرة، تحيط بركة مضلعة ذات زخارف من الحجر المشقف، أو الألواح المجردة ضمن إطارات أركان أضلاع البركة.

الأرابيسك الخشبي

الطرائـق المتميـزة الثانية هي الزخارف الخشـبية الملونة التي تكسـو جدران القاعات الداخلية وسـقوفها مما يسـمى بـ "العجمـي"، وهي طرائق قديمة تعود إلى العصر العباسـي والمملوكـي والعثمانـي، ولا يكاد يخلو بيت من بيوت دمشـق القديمـة أو القاهـرة أو حلب مـن هذه الزخارف التي توجد أمثلـة كاملة لها في أرابيسـك غرف متحـف المتروبوليتان في نيويـورك، وفـي متحف الدولة في برلين.

وتتم الزخرفة الخشـبية بالتلوين والرسـم أو بالنقش والحفر أو بالتنزيل والترصيع أو بالتشـبيك والتعشـيق. ويتم رسـم الخشـب وتلوينه بنقل الرسـوم على سطوح الأخشاب المحضـرة لتكـون أبواباً أو خزائن جدارية أو سـقوفاً، مع تحاشـي الربط بالمسـامير ما أمكن. ويسـتعمل الخشـب الرومـي لنجاح الزخارف.

ويتجلى فن الأرابيسـك في زخرفة الأثاث ولاسـيما الموزاييك، وهو فسـيفسـا مؤلفة من حشـوات خشـبية ملونة رقيقة وبأشـكال هندسـية متنوعة، وقد شـاع هذا النوع من الأرابيسـك في تزيين الأثاث الحديث؛ بسـبب مساحاته المبسـطة التي تسـاعد على فرش ألواح الموزاييك

وانتشـر نوع من الأرابيسـك الخشـبي أطلق عليه اسـم "القيصري"، وهو امتداد لفن معروف في سـامرا والرقة، بدا محفوراً على خشـب الأثاث والمكاتب بشـكل بارز مدبب وبرسـم ليّن غالبا

الأرابيسـك ومكانته بين الفنون

كان الأرابيسـك يعـدّ مـن الفنـون التطبيقية، بيد أن الدراسـات الحديثة لم تنـفِ الصفة الإبداعية عن هذا الفن؛ بل لم تفرق بين جميع أشـكال الممارسـة التشـكيلية كما فعلت مدرسـة الباوهاوس في ألمانيا. وعندما بدأ فن الأرابيسـك بالظهور مسـتقلاً عن العمارة بأشـكال مختلفة؛ بدا على الأواني الخزفية والزجاجيـة وعلـى الجلـود والرقوق وألواح الخشـب والحجر المحفوظة نماذجه فـي المتاحف مثل متحف متروبوليتـان فـي نيويـورك والمتحف الإسـلامي فـي القاهرة الذي يفخر بمقتنياتـه التي تعود إلى العصر المملوكـي والمؤلفـة مـن المصابيح والأوانـي المعدنية والمخطوطات الحافلـة بالزخرفة التي تعود إلى دمشـق أو القاهـرة فـي هـذا العصر. بل إن السـجاد المملوكي الموجود في متحفـي نيويورك وڤيينا والذي يعـود إلـى دمشـق أو القاهـرة يعـدّ من روائع هـذه الصناعة؛ لما يختص به من صيـغ زخرفية وألوان لا نظير لها في أنواع السـجاد الإسـلامي.

وفـي العهـد الصفـوي فـي أصفهان والعهـد العثماني الطويل في مدينتي إزنيـك وكوتاهيه ظهرت طرائق جديدة في صناعة الخزف اسـتوعبت فن الأرابيسـك، أبرزها ألواح الخزف المعروف بالقاشـاني.

ولـم تكـن أوانـي النحاس تخلو من زخارف، فسـوا أكانت طاسـات أم زهريات أم صحوناً؛ فإنهـا حافلة بالنقوش التـي تناولـت مواضيـع مختلفة. وكثيراً ما تُحلى هذه النقـوش بتنزيلات المعدن.

وترتفـع قيمـة النحاسـيات المنزلـة عندما تكون قضبـان المعادن المضافة ثمينـة، كالفضة أو الذهب الخالص الـذي يمتـد قضباناً منزلة عبر حدود الأشـكال والزخارف المنقوشـة والمحفورة.

لقـد أصبـح فن الأرابيسـك أكثر الفنون التشـكيلية ارتباطـاً بالحياة الثقافية والمكونـات الاجتماعية، وأكثر تعريفـاً بمفهوم الجمالية العربية الإسـلامية.

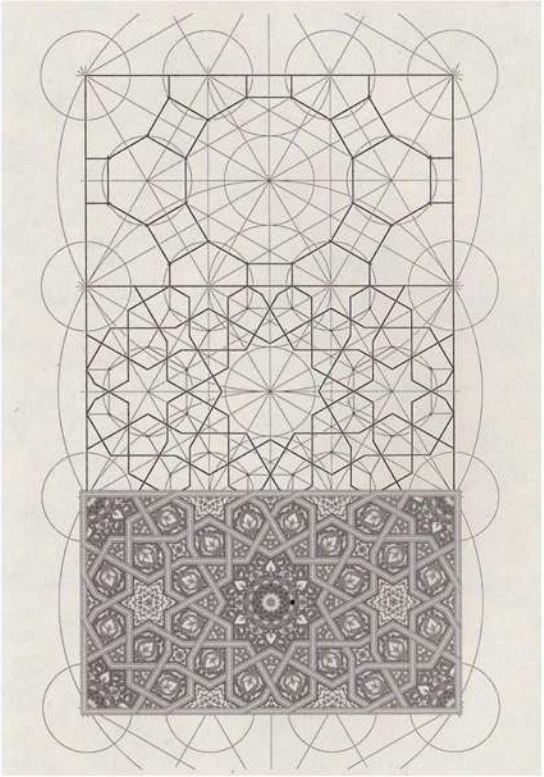

استخدامات الأرابيسك

سـبب اختيار الارابيسـك لتزين المسـاجد هو تحريم الدين الإسـلامي اسـتخدام الصور التصويرية للكائنات الحيـة او التماثيـل عكـس الديانـات الأخـرى كالمسـيحية التى تعتمد على تزيـن الكنائس بصور و تماثيل , ممـا جعـل الفنانيـن المسـلمين يقومون بتجريد الرسـومات من مظهرها الطبيعـي فمتلا الازهار التى ثم تصميمهـا هندسـيا لتعطـي انطباعـا بالإسـتمارارية و اعادة التجديد و مـلأ الفراغات بزخارف و التكرارية و منحهـا هيئـة الثلاثية الابعاد رغم كون السـطح احادي الإبعاد

كأي فن اسـلامي فالأرابيسـك يعتمد على نقل الإحسـاس بالروحانية و خلق فن جميل , فإن اعطينا اكبر مثـال للأرابيسـك و اكثـر مـكان يتواجـد فيه هو المسـجد لا يمكن ان ننكر تأتيره المسـالم والمريح و المهدأ كمـا انـه يمكـن ان يكون سـبب فـي التأمل خاصتا الأيات القرأنية ذالك ما يحاول ايصاله فن الأرابيسـك , احدى اهم الأشـياء التي تظهر العبقرية هو ان الأرابيسـك خاصتا للنوافد كان يسـمح للشـخص برؤية ما يجري خارجا ولايسـمح برؤية اي شـيئ للداخل كما انه يسـمح للأشـعة الشمسـية بالمرور الى الداخل كطريقـه للحفـاظ علـى خصوصيـات المنازل يظهر التفوق في اسـتخدام النور و الظلال و الهندسـه العبقريه و هـو مثـال صغيـر مقارنـه بما ابدع فيه الفنانون المسـلمون , الفن الإسـلامي الـدي كان اكثر افاده من غيره و متماشـي مع التقاليد الإجتماعية الإسـلامية

الأرابيسـك: فن هندسي عربي أصيل

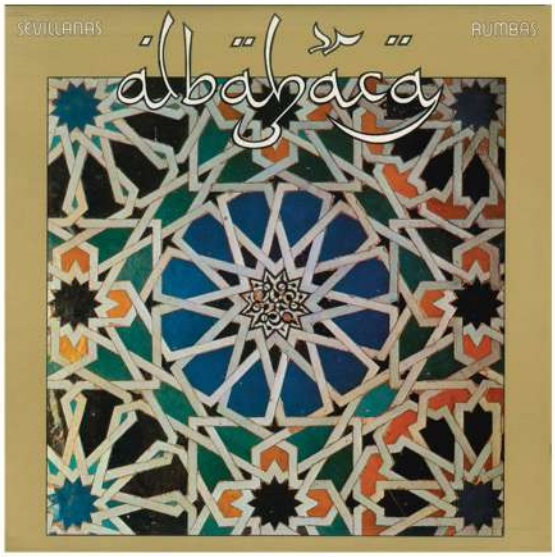

اسـتخدم الإنسان الزخارف الهندسـية في جميع الحضارات منـذ العصر الحجري بسـبب نزعتـه الفطرية للتجريد. وقد اكتسـبت الزخارف الهندسـية أهمية خاصة وشـخصية فريدة فـي ظـل الحضارة العربية الإسـلامية؛ فأصبحت في كثير من الأحيان العنصر الرئيسـي الذي يغطي مسـاحات كبيرة.

ومما لا شـك فيه أنه انعكس تطـور علوم الرياضيات في الحضارة الإسـلامية وانتشـار معارفها على الفنون الإسـلامية التـي يمكـن اعتادها أحد المجـالات التطبيقية، والتي اسـتوعبت وعبرت بصدق عن تطور المعارف الهندسـية للمسـلمين. فأبدع الفنان العربي في اسـتخدام الأشـكال الهندسـية، مثل: المسـتقيمات، والمربعات، والمستطيلات، والمعينـات، والمثلثات، والدوائر المتماسـة والمقاطعة، والأشـكال السداسية والثمانية.

ويرجع اهتمام الفنان العربي المسـلم بالزخارف الهندسـية وشـغفه بها إلى الفكرة السـائدة حول كراهية تصوير الكائنات الحية في الإسـلام؛ إذ إن شـكوك الفنان المسـلم في هذه المسـألة جعلتـه ينصرف عنها، ويتجه بـكل طاقته وجهده نحو الأشـكال الهندسـية وتطويرها وابتكار أشـكال جديدة منها؛ حتـى احتلـت مكانة مرموقة، وامتاز بها الفن الإسـلامي.

علم أم فن؟

أما «الأرابيسك»، فأقل ما يوصف به أنه «علم» أبدعه الفنان العربي وأهداه لتاريخ الفن، وهو عبارة عن سلسلة متكررة من الأشكال الهندسية والنباتية، مصحوبة بأشكال الطيور، والحيوانات، والخط العربي أحيانًا. وفي الحقيقة، لم يبتكر الفنان العربي وحدات زخرفية جديدة، بل استعمل الوحدات الزخرفية المستخدمة من ذي قبل، ولكنه استخدمها بطريقة جديدة وفريدة؛ حيث قام بتحويرها، وتوزيعها، وتنسيقها، وتكرارها لإنتاج إبداع يتناسب مع مبادئ الدين الإسلامي الذي يجد كراهة لاستخدام الأشكال الآدمية والحيوانية.

واشتهر الفنان المسلم كذلك بالفن التجريدي؛ حيث جرد الوحدة الزخرفية النباتية كالورقة أو الزهرة من شكلها الطبيعي حتى لا تعطي إحساسًا بالذبول والفناء، وقام بتحويرها في أشكال هندسية حتى تعطي الشعور بالدوام، والبقاء، والخلود. ويعتمد فن الأرابيسك على ملء فراغ السطح المرسوم برسومات لا نهائية متكررة، وكأن هناك خوفًا من الفراغ. وبتكرار الرسوم وتقاطعها يخلق الفنان إيحاءات بصرية بالعمق وثلاثية الأبعاد فيما هو في الحقيقة جسم مسطح أحادي البعد.

رمزية الأرابيسك في الإسلام

يرمز الأرابيسك لوحدة الإيمان والطريقة التي تنظر بها الثقافات الإسلامية التقليدية إلى العالم. ويُعد فن الأرابيسك أيضًا لدى الكثيرين في العالم الإسلامي رمزًا للانهائية قدرة الله الخالق عز وجل. علاوة على ذلك، فإن فنان الأرابيسك الإسلامي ينقل إحساسًا روحانيًّا جميلاً عند الإنسان إلى الأعلى. ويُعرف عن هذا الفن أنه بسيط لكن به قابلية كبيرة للإبداع، ويبعث الإحساس بالطمأنينة والهدوء، ويظهر معنى الفن والإبداع الرائع للفن الإسلامي، وأن الأمة الإسلامية أمة مسالمة فنية تحب الإبداع والفن الجميل الأصيل.

.

استخدامات الأرابيسك

تم استخدام زخارف الأرابيسك لتزيين المساجد، والقصور، والقباب بأشكال هندسية أو نباتية جميلة تبعث في النفس الراحة، والهدوء، والانشراح. فقد أنتج الفنان العربي جدرانًا كاملة من الأرابيسك في بعض القصور، بالإضافة لاستخدامه في زخرفة الأعمدة وتيجانها، ومنابر المساجد، والمشربيات، والنوافذ، والأبواب، والأثاث.

ويظهر في فن الأرابيسك التوافق والانسجام مع البيئة الحضارية العربية والإسلامية؛ فتسمح قطع الأرابيسك برؤية ما بخارجه، ولا تسمح برؤية ما بداخله للحفاظ على خصوصية المكان؛ كما يعطى إضاءة خافتة غاية في الجمال عندما يتخللها ضوء الشمس.

المراجع

.(عفيـف البهنســي، جماليـة الزخرفـة العربية (مكتبة لبنان - ناشــرون، بيروت 1999 -

- O. GRABAR, THE MEDITATION OF ORNAMENT (PRINCETON UNIVERSI□TY PRESS, 1992).

.محمد عبد العزيز مرزوق، الإســلام والفنون الجميلة، مكتبة الأســرة، 2015

WWW.MAWHOPON.NET

WWW.ALITTIHAD.AE